أفكار ميّتة

قصة بقلم حمزة عبّود

دائما ، لكي أخفي ذاكرتي ، أترسب في هذه الزاوية الضيقة من مبنى الكلية . ودائما يتوافد المارة فوق رأسي . يلقون سلاما أو يتجاهلونني ويعبرون الى الصفوف .

ولكن حين يمر « صفوان » تتبخر مخيلتي بصوت عال وأخرج من ذاكرتي .

فصفوان هذا ، يأتي كعادته ، اما حاملا حكاية جديدة واما صامتا كجدار .

وأجد نفسي مضطرا لان أنولاه قبل ان يتولاني .

ـ ما بك يا صفوان ؟

يتحرك بهدوء الى مكان الصوت . ينظر مندهشا الى كل ما حولي متعمدا أن لا يضع نظره على وجهي .

أتضايق قليلا وأفكر ان اقول شيئا مثيرا يشده الى المقعد الذي بجانبي :

ـ « صفوان . لقد خرجوا جميعا . اليوم « جمعية عمومية » .. توقفت الدروس منذ الصباح » (والحقيقة ان احدا لم يخرج من الكافتيريا . والجمعية العمومية تأجلت حتى المساء . وتستمر الدروس حتى نهاية آذار) .

يلتفت عني الى احداهن ويتمتم شيئا باتجاه السماء .

أتضايق ثانية **واهم بالانفجار** :

ـ « الضوء أجمل من الكافتيريا المعتمة . وبعد قليل ستطلع ماري وتحوم بين المقاعد كفراشة متعبة » .

يسمع شيئا ولكنه لا يكترث . يحمل رأسه وقدميه . يهتم بالانصراف . ثم ينصرف قليلا قليلا .. حتى يغيب .

أعود الى الورقة التي بين يدي وأنكب كالمراهق بين سطورها . كنت أكتب شيئا عن البحر .. « الى الذين يقرأون سان جون بيرس ولا يعرفون البحر في حياتهم » . ماذا أضيف الى الاهداء ؟ أفكر حتى أنتهي .

أعود ، بتعب شديد ، الى ما تبقى مني . وأنتبه الى صفوان عائدا من جديد . لقد تنبه الى صوتي فعاد !

أبتسم له فيأخذ راحته وينتشي :

« ماذا الآن ؟ يبدو ان الطقس جميل للغاية . الجمال يا صديقي شيء نسبي . هل تعرف شيئا عن النظرية النسبية ؟ كنت متعبا البارحة . كدت أخنق نفسي بسلك التلفون . أين كنتم تشربون البارحة ؟ » .

ـ « لم نشرب » .

ـ « أنا خرجت بمفردي » .

ـ « قلت انك كنت متعبا » .

ـ « كنت اكذب عليك » .

(وحين تصل ماري يرفع صوته كأنه يتوجه اليها) .

ـ « أنا لا أشعر بالتعب ابدا . أشعر بالفرح كطائر في فضاء واسع . لا اريد ان أصل الى مكان . مكاني يلائمني جدا » .

(ثم اليّ حين تمضي خارج السور) :

ـ « هل رأيت كيف تنقضي ماري كحلم أفلتت خيوطه .. وتنقطع أخبارها ؟ »

ـ « ماذا ستفعل الآن ؟ »

ـ « قرأت البرتو مورافيا . رواية نقلية لمذهب فرويد . الادب لا يقدم ولا يؤخر . وهو لذلك لا يستحق أهمية بالغة . وما دمت موافقا على رأيي (ملاحظة : أنا لم أوافقه ابدا) فلماذا لا تقلع عن الكتابة ؟ الكتابة مرض العصر » .

ـ « صفوان ماذا ستفعل ؟ »

ـ « انني أفضل الصيف على الشتاء . سافرت في الصيف الماضي الى أوروبا . العلاقات هناك مفككة . ولكنهم يحترمون الفرد.. هنا يضايقون الحريات ويمنعوننا من التظاهر . هل وافق الوزير ....

ـ « صفوان ماذا ... .

ـ « لماذا لا تسمعني .. كانت أعقاب البنادق تنهال على رؤوس المتظاهرين بقسوة . هل كتبت شيئا عن العنف ؟ أجل . أعرف انك فعلت . لقد قرأت المقال . سرقته من المكتبة .. لماذا لم تنشره ؟ مقال رائع ولكن تنقصه اشياء كثيرة » .

ـ « صفوا ... .

ـ « انا مع حرية المرأة . يجب ان ينفذوا مشروع « كل النساء لكل الرجال » . وأنت » .

ـ « أنا ... .

ـ « لا تقل شيئا . أعرف رأيك . اوافق على جانب منه .. » .

انه يبتلعني بنهم شديد .

يتحدث بحماس فائق مستندا الى أدلة من الواقع والحياة .. ومن الموت أحيانا . ثم ينعطف بدهشة بالغة الى الجوانب المعتادة .

أفقد توازني وأرتجف فوق المقعد اليابس بغضب بارد :

ـ « ماذا .. تريد ؟ » .

ـ « ..... »

أعود نادما الى جلستي الاولى فأسمع وقع اصابعه في الفراغ تشير الى وجهي :

ـ « هل رأيت شيئا ؟ »

في الشارع المقابل تزدحم القبعات على مدخل الطريق .

وبينما يكمل صفوان ، تسقط الورقة من بين يديّ مبللة بالعرق.

بيروت — **حمزة عبود**